سِلْسِلَةُ: إِتْحَافِ الحَاضِرِ والبَادِي بِتَفْرِيغِ أَشْرِطَةِ العَلَّامَةِ الشَّيْخِ مُحَمَّدِ بْنِ هَادِي (٢٧)

تَفْرِيْغُ مُحَاضَرَةٍ بِعُنْوَانِ:

«هَدْيُ السَّلَفِ فِي رَمَضَانَ»

لِفَضِيلَةِ الشَّيخِ العَلَّامَةِ

مُحَمَّدِ بْنِ هَادِي المَدْخَلِي -حَفِظَهُ اللهُ-

ألقاها فضيلته في جامع الحُكير بمحافظة أبي عريش بجازان، يوم الخميس

الخامس والعشرين من شهر شعبان عام ١٤٣٤هـ

إِعْدَادُ

أَبِي قُصَيٍّ المَدَنِيِّ

-عَفَا اللهُ عَنْهُ وعَنْ والِدَيْهِ ومَشَايِخِه وَالْمُسْلِمِيْنَ أَجْمَعِيْنَ-

بسم الله الرحمن الرحيم

هَدْيُ السَّلَفِ فِي رَمَضَانَ

لفضيلة الشيخ د. محمد بن هادي المدخلي -حفظه الله-

قال -وفَّقه الله لكل خير-: «إنَّ الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه بإحسانٍ إلى يوم الدين.

أمَّا بعد:

فَسَمِعتم -معشر الأحبة والإخوة في الله- موضوع هذه الكلمة، إنه لموضوعٌ عظيم، ولاسيما ونحن نستعدُّ لاستقبال صاحبه الزائر العظيم؛ ألا وهو شهر رمضان المبارك، وأحوال السلف، والهدي الوارد عنهم -رحمهم الله تعالى- في هذا الباب في شهر رمضان المبارك.

وأولًا وقبل كل شيء: نسأل الله -سبحانه وتعالى- بأسمائه الحسنى، وصفاته العلى أن يُبلِّغنا وإياكم هذا الموسم الرابح شهر رمضان، نسأل الله -جل وعلا- أن يُبلِّغنا وإياكم شهر رمضان، وأن يعيننا فيه وإياكم على الصيام، والقيام، وأنواع الطاعات، وأن يتقبل منا أعمالنا فيه، وفي سواه من الشهور.

أيُّها الإخوة:

هذا الشهر شهر رمضان، أعظم الشهور، خصَّه الله -سبحانه وتعالى- بخصائص، فخصَّه الله -سبحانه وتعالى- بأعظم خصِّيصة على الإطلاق، ألا وهي إنزال القرآن فيه، فهو شهر القرآن، شهر النور، شهر الحياة الحقيقية، ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ

ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ ١٨٥﴾ [البقرة:١٨٥]، ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ ٢ لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ ٣﴾ [القدر:١-٣]، ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ ٣﴾ [الدخان:٣].

فهذا الإنزال لهذا الروح الذي هو حياة الروح حقيقيةً كان في هذا الشهر.

﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ﴾ يا محمد -يعني-، ﴿إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٥٢ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلۡأُمُورُ ٥٣﴾ [الشورى:٥٢-٥٣].

فهذا الروح الذي به حياة الأرواح أُنزِلَ في هذا الشهر، فهو شهر القرآن، كلام الله المنزَّل على رسوله -صلوات الله وسلامه عليه-، كان في هذا الشهر المبارك، فلا غرو أن يُعتنى فيه بالقرآن، ولا غرو أن يُطلق عليه شهر القرآن كما قال ربنا -جل وعز-: ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ ١٨٥﴾ [البقرة:١٨٥]، هدانا الله بهذا الكتاب.

﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ﴾ [الشورى:٥٢]، فهو الكتاب الذي هدانا الله به، في هذا الشهر الذي هو شهر القرآن وشهر الهداية، فهو شهر القرآن، والناس تراهم يتسابقون فيه إلى قراءة القرآن تسابقًا عجيبًا، فلا غرابة في ذلك!

هذا الشهر العظيم امتنَّ الله به علينا نحن أمة محمدٍ ﷺ وفيه كثيرٌ من الخصائص، وكثيرٌ من الفضائل، وكثيرٌ من الجوائز، والموفَّق من وفَّقه الله -جل وعلا- لتأمل ذلك وتدبره، وتفهمه، والعمل بما فيه.

والسلف -رحمهم الله تعالى- الذي نُقل إلينا عنهم -رحمهم الله- إنَّما اقتدوا فيه برسول الله ﷺ حيث كان -عليه الصلاة والسلام- يخصُّ رمضان بمزيد اعتناء في العبادة، في القيام، في القراءة، وفي عَشره الأواخر في القراءة.

بل إنَّ جبريل -عليه الصلاة والسلام- كان يعتني بأمر ربه بهذا النبي ﷺ في رمضان اعتناءً زائدًا، فهو في غير رمضان ينزل عليه بالوحي ويعود إلى حيث أمره ربه، وفي رمضان ينزل فيدارسه هذا الوحي، كان يأتيه في كل عام في رمضان مرة يدارسه القرآن، حتى كان العام الذي تُوفي فيه ﷺ فدارسه القرآن مرتين(١).

ومن هنا استدل أهل العلم بهذا الحديث على مشروعية تكرار الختم في رمضان، تكرار الختم، تقرأ وتختم، ثم تقرأ وتختم، ثم تقرأ وتختم، وإذا لم يكن ذلك في رمضان فمتى سيكون؟!

إذا لم يكن في رمضان وقت التفرغ للعبادة، وانصراف القلوب عن كثير من الشواغل، وإدبارها عن الدنيا وإقبالها على الآخرة، ورِقَّتها بسبب خلوها من الطعام أو قلته، فإن الشِّبَع له أثر في البطر لدى النفوس، إذا لم يكن في هذا الوقت فمتى يكون؟

فالسلف -رحمهم الله تعالى- ضُرِبَ عنهم في هذا الباب الأمثال في أمور شتى من العبادات في رمضان، وكل ذلك اقتبسوه من حديث رسول ﷺ، ما جاءوا به من عند أنفسهم -رضوان الله تعالى عليهم أجمعين-.

والناظر في سيَرهم يحتقر نفسه عندهم، ولكن يدعو الله باللطف والستر والتوفيق، وأن يلحقهم بمن أحبوا، فإنه قد ثبت عندنا عن رسول ﷺ أنه قال: (**المَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ**)(٢).

فكان أنس -رضي الله عنه- يقول: (والله إني أُحِبُّ رسول الله، وأُحِبُّ أبا بكر، وأُحِبُّ عمر، وأرجو أن أكون معهم)(٣)، الرجل يسأل النبي ﷺ في هذا الحديث عن القوم ولمَّا يلحق بهم، فكان جوابه -عليه الصلاة والسلام-: (**المَرْءُ يَوْمَ القِيَامَةِ مَعَ مَنْ أَحَبَّ**).

---

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم (٦٢٨٥)، ومسلم في "صحيحه" برقم (٢٤٥٠).

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم (٦١٦٨)، ومسلم في "صحيحه" برقم (٢٦٤٠).

(٣) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم (٣٦٨٨)، ومسلم في "صحيحه" برقم (٢٦٣٩).

فنحن نرجو الله -جل وعلا- أن يُلحقنا بهؤلاء الذين أحببناهم وإلا فالعمل ليس بشيء، والجَهد ليس بشيء، ولكن نسأل الله اللطف والمسامحة، فغفرانه -جل وعلا- ورحمته أوسع من ذلك كله.

أيها الإخوة:

أول ما ينبغي للمسلم أن يراقب في صيامه ربه -تبارك وتعالى-، فيخلص النية لله- جل وعز- فيصوم ابتغاء مرضات الله، وابتغاء ما عند الله -جل وعلا-، فإنَّ العبد إنما يوفَّى في العمل إذا أخلص فيه واتَّبع، ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف:١١٠].

فعلى المسلم أن يصوم هذا الشهر إيمانًا بالله، كما قال النبي ﷺ: **(مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ)**[1].

فغفران الذنوب بهذين الشرطين:

أولًا: الإيمان بالله -جل وعز- لأنه هو الذي فرض عليك الصوم: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴿١٨٥﴾﴾ الآية [البقرة:١٨٥].

فلابد أن يكون الصيام إيمانًا بالله -تبارك وتعالى- الذي فرضه، واستجابة لأمره -سبحانه وتعالى- لأنَّ هذا الشهر أحد أركان الإسلام الخمسة.

ولنحمد الله -جل وعلا- معشر الأحبة -: أنَّ الصيام أتمَّه الله على أمة محمد على أيسر الوجوه، وإلا كان شاقًا في أول الأمر، كان الصيام في الأول قرابة عشرين ساعة أو تزيد، كما ثبت ذلك في

---

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم (٣٨)، ومسلم في "صحيحه" برقم (٧٦٠).

«سنن أبي داود» و«مسند الإمام أحمد»، و«ناسخ الحديث ومنسوخه» لأبي عبيد وغيرها من كتب السنن والحديث النبوي.

كان الرجل يصوم في أول الأمر -كما جاء ذلك في حديث ابن عباس- هذا العدد تقريبًا، كان الصيام في أول أمره يصوم الناس إذا صلوا العشاء ما لم يناموا، هذا كان فرض الصيام، إذا صلوا العشاء وجب الإمساك إلى القابلة غروب الشمس، أما إذا نام قبل العشاء، فلو استيقظ قبل العشاء لا يجوز له الأكل ولا الشرب، كما جاء ذلك في حديث عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما- فاختانَ رجلٌ نفسه، فوقع على امرأته وهو صائم[1] -يعني بعد العشاء - وهو صائم، بعد العشاء خلاص صيام وأصبح صائمًا.

وجاء أيضًا في حديث صِرمة بن قيس -رضي الله عنه-[2] أنه جاء إلى أهله مع غروب الشمس -وسيأتينا الكلام على هذا الحديث-، فقال: عندكم شيء؟ فقالت زوجته: لا، أذهب إلى الجيران أسأل، فجاءت بعد وقد نام، فقالت خيبة لك، -يعني وجب عليك الإمساك ما دام نمت وستمسك إلى غد، أربع وعشرين ساعة، فلهذا قالت له: خيبةً لك، فلما أفاق واصل ليله، فأصبح صائمًا، وكانت له أرضٌ يعملُ فيها -يعني مزرعة- فذهب إليها، فلما انتصف النهار أُغمي عليه من الجوع والعطش، فأنزل الله -جل وعلا- في هذا الآية التي فيها النسخ والتخفيف لأمة محمد، وهي قوله -جل وعز-: ﴿عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمۡ كُنتُمۡ تَخۡتَانُونَ أَنفُسَكُمۡ﴾، هذا في الذي اختان نفسه ووقع على زوجه بعد العشاء، وهو المفروض أن يكون صائمًا، ﴿فَٱلۡـَٰٔنَ بَـٰشِرُوهُنَّ وَٱبۡتَغُواْ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡۚ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلۡخَيۡطُ ٱلۡأَبۡيَضُ مِنَ ٱلۡخَيۡطِ ٱلۡأَسۡوَدِ مِنَ ٱلۡفَجۡرِۖ ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيۡلِۚ ١٨٧﴾ [البقرة:١٨٧].

---

(١) أخرجه أبو داود في "سننه" برقم (٢٣١٣).

(٢) أخرجه أبو داود في "سننه" برقم (٢٣١٤).

فحُذف عنا صيام أكثر الليل، فكان من الله رحمة، كما قال ذلك ابن عباس -رضي الله تعالى عنهما-، فصار الصيام الآن بين طرفي النهار، من بزوغ الفجر إلى غروب الشمس، وأما قبل فكان الصيام أكثر الليل، ثلثي الليل مع النهار، يعني على أعلى تقدير اليوم العِشاء متى نُصلي؟ التاسعة فلو أخَّرناها، العاشرة، إلى نصف الليل تقريبًا العاشرة والنصف، فإنَّ وقت خروج العشاء الاختياري هو بنصف الليل، العشاء، إلى نصف الليل ويبقى وقت الاضطرار، فمن نصف الليل، نصف الليل كله وأنت صائم مع النهار أليس في هذا مشقة؟، مشقة ظاهرة، فرحمنا الله -جل وعز- فأصبح الصيام على ما نراه نحن، وهكذا تم أمر الصيام، فنحمد الله -جل وعلا-.

وهذا فيه النسخ إلى بدل خفيف، ففيه إثبات النسخ، وفيه إثبات النسخ إلى بدل، وفيه إثبات النسخ إلى بدلٍ أخف.

وَالنَّسْخ رَفْعٌ لِحُكْمٍ كَانَ قَدْ أَثْبَتَهُ ... شَرْعًا بِنَصِّ خِطَابٍ بَعْدُ مُنْفَصِلُ

فَقَدْ يَجِيءُ مُزِيلًا أَوْ إِلَى بَدَلٍ ... يَكُونُ أَغْلَظَ أَوْ أخفّ ذَا الْبَدَلُ(١)

فهذا النسخ إلى بدل أخف، فهذا رحمةٌ من الله بنا نحن أمة الإسلام، وأيضًا من لطف الله بنا نحن، مع ضعف إيماننا في هذه الأيام أن تهيأ لنا من وسائل الراحة ما لم يكن لأسلافنا -رحمهم الله تعالى- وغفر لهم.

فالواجب علينا أن نحمد الله على لطفه، وتيسيره، وتخفيفه عنا أيها المسلمون، فهذا الشهر صيامه على هذا النحو، يجب أن يكون العبد فيه مخلصًا نيته لله -تبارك وتعالى-، ويراقب الله -تبارك وتعالى-، لأنَّ الله -جل وعز- يقول في الحديث القدسي الصحيح الذي تعلمونه جميعًا: (**كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ، إِلَّا الصِّيَامَ، فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ**)(٢) لماذا أضافه إلى نفسه؟ لأنه سرٌّ بين العبد وبين ربه،

---

(١) من منظومة لامية المنسوخ للشيخ حافظ الحكمي -رحمه الله-.

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم (١٩٠٤)، ومسلم في "صحيحه" برقم (١١٥١).

لو أراد أن يأكل ويشرب، ويُخفي ذلك عن الناس، ويطلع عليهم ويقول أنا صائم، ليس للناس إلا ما ظهر من أمره، فأضافه الله إليه، لأنه لا يَطَّلع عليه إلا هو، فلذلك كان مضاعفة الثواب فيه غير محدودة (**إِلَّا الصِّيَامَ، فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، يَدَعُ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ وَشَهْوَتَهُ مِنْ أَجْلِي**).

فقوله -جل وعز-: (من أجلي): فيه التنبيه على تصحيح النية، وإخلاص النية لله -جل وعلا- لا ليقال صائم، ولا ليقال كثير الصيام، ولا ليقال شديد التَّحَمُّل في الأيام الشديدة الحر، وهو ما شاء الله صائم مع شدة العمل، لا، وإنما ليلقى الله، فيقول لوجهك صمت يا رب (**يَدَعُ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ وَشَهْوَتَهُ مِنْ أَجْلِي**).

ومن هذا الحديث: أخذ العلماء تعريف الصيام، أنه تركٌ للأكل، أو امتناع عن الأكل والشرب وجميع المفطرات أو سائر المفطرات، فنصُّوا على هذه الثلاثة لأنّها المنصوصة في الحديث، طعام وشراب هذه للجسد، وشهوة للنفس، اطمئنان نفسي (من أجلي) من أجل الله - جل وعلا-.

فلابد فيه من أن يكون لله -سبحانه وتعالى-، فيجب على العبد أن يراقب ربه -سبحانه وتعالى- في هذا الصوم، فيكون لوجه الله -جل وعلا- خالصًا، لا يريد به رياءً ولا سمعة.

ولقد كان السلف الصالح-رحمهم الله تعالى- في هذا عجبًا -رحمهم الله-، حتى إنَّ بعضهم كان إذا صام -كما سيأتينا أيضًا- لا يكاد يخرج من بيته إلا إلى الصلوات فقط، حتى لا يُقال عنه صائم، كل ذلك مبالغة في اخفاء العمل منهم -رحمهم الله تعالى-، فيجب على العبد أن يُخلص النية أول ما يجب عليه لله -تبارك وتعالى-.

الأمر الثاني: هذا الصيام تَخِفُّ فيه النفوس، وتنبعثُ إلى الطاعات، وذلك بتخلُّصها من كثير من المثقلات لها، فيجب على العبد أن يغتنم هذه الفرصة، وهي مدة يسيرة، أيامٌ قلائل، ثلاثون أو تسعة وعشرون يومًا، إن بلغ الشهر ثلاثين وإن نقص فهو تسعة وعشرين وهما كاملان، التسعة والعشرين شهر، والثلاثون شهر، فأي ذلك حصل فهو شهر، كما قال النبي ﷺ: (**لَا تُقَدِّمُوا الشَّهْرَ**

بِصِيَامِ يَوْمٍ، وَلَا يَوْمَيْنِ إِلَّا أَنْ يَكُونَ شَيْءٌ يَصُومُهُ أَحَدُكُمْ، وَلَا تَصُومُوا حَتَّى تَرَوْهُ، ثُمَّ صُومُوا حَتَّى تَرَوْهُ، فَإِنْ حَالَ دُونَهُ غَمَامَةٌ، فَأَتِمُّوا الْعِدَّةَ ثَلَاثِينَ، ثُمَّ أَفْطِرُوا وَالشَّهْرُ تِسْعٌ وَعِشْرُونَ)[1].

هذا الحديث إثبات للتسعة والعشرين، والنبي ﷺ قد نصَّ على ذلك، والناس يقولون ناقص، وليس هو بناقص، كما قال الإمام أحمد، فالتسعة والعشرون تمام، فهذا تقدير الله-جل وعلا-، فتارة يكون الشهر هكذا، وتارة يكون الشهر هكذا عند أمة الإسلام، بخلاف غيرهم من أمة الكفر فهو ثلاثين وواحد وثلاثين، أما نحن فتسعة وعشرين وثلاثين.

فهي أيام قليلة تَخِفُّ فيها النفس، وإذا لم تستغل خِفة النفس، وانبعاثها في وقت الطاعة إلى مزيد الطاعة، فمتى ستستغل؟

وليَعلم العبد أنه إذا فرَّط سيندم، ولكن يندم متى؟ حين لا ينفعه الندم، فيجب على العبد أن يعتني بهذا، ويستغل من نفسه نشاطها، لأنّها إذا كانت نشيطة، ومقبلة يسهل عليها العمل.

ومن أعظم الأسباب التي اجتمعت فأدت إلى تيسير العمل عليها في رمضان ثلاثة أسباب:

السبب الأول: تخلصها من العوائق التي تثقلها، من أكل وشرب، وكثرة مخالطة وكثرة نوم، فتخلصت من هذا كله، فالأكل قليل، والشرب قليل، والمخالطة قليلة، والنوم قليل، فإذًا ما بقي عليك يا عبد الله، إلا أن تستحثَّ النفس في العمل الصالح الذي سيأتي معنا ذكر بعض منه.

السبب الثاني: استعداد كثير من المسلمين إن لم يكن كل المسلمين لرمضان قبل دخوله، فيتهيؤون له بانقطاعهم عن كثير من الشواغل والأعمال وإعدادهم العُدَّة للصيام، فكثير من المعوِّقات قد زالت؛ السفر، التنقل، الذهاب، المجيء، الخروج، كل ذلك قد توقَّف، بل أحيانًا الذهاب إلى الأسواق يقِل، وإن كان -وللأسف- في الآونة الأخيرة رأيناه يزداد ويكثر، فهو قلَّ من ناحية وزاد من ناحية أخرى، قلَّ من ناحية أن أكثر الناس يتزودون لرمضان حتى ما يذهبون للسوق

---

(١) أخرجه أبو داود في "سننه" برقم (٢٣٢٧).

لكثرة الأغذية والاستعداد بها، فيأخذونها من أول رمضان حتى يتفرغوا، ولكن أخذوها من الجانب الآخر في الليل، يذهب الليل في الأسواق للأسف، وهذا سيأتي الكلام عليه-إن شاء الله- هذا الثاني.

الثالث: في هذا العصر تيسير كثير من وسائل الراحة، فالسيارة مُكيَّفة، والمسجد مُكيَّف، والعمل مُكيَّف، بل والمتجر مُكيَّف، وقليل من الناس من يعمل خارج هذا التكييف والتبريد.

فهذه الأسباب كلها معينة على الطاعة في هذا الشهر بجميع أنواعها، فينبغي لنا أن نستغل الفرصة، وأن نحث النفس على مزيد من العمل في هذا الشهر.

وليُعلَم أن أول ما ينبغي أن يُقتدى فيه بسلفنا الصالح، سبب حياتنا في هذه الحياة: النور المبين، القرآن الكريم، كلام الله، ووحيه، وتنزيله على رسوله ﷺ، فأول ما يجب علينا أن ننظر في حال السلف -رحمهم الله- مع هذا الكتاب في شهر رمضان كيف؟

فأولًا: سمعتم الحديث السابق حديث ابن عباس-رضي الله عنهما-وهو مروي من حديث فاطمة بنت النبي ﷺ -ورضي الله عنها-، ومروي أيضًا عن عائشة أم المؤمنين -رضي الله عنهم جميعًا وأرضاهم-: (**أَنَّ النَّبِيَ ﷺ كَانَ يَأْتِيهِ جِبْرِيلُ فَيُدَارِسُهُ القُرْآنَ، فَلَرَسُولُ اللهِ ﷺ حِينَ يَلقَاهُ جَبْرِيل أَجْوَدُ بِالخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ المُرْسَلَةِ**)[1].

فانظروا إلى رسول الله ﷺ كيف كان حاله في رمضان في قراءة القرآن مع جبريل -عليه الصلاة والسلام- يتدارسان القرآن، وجاء في حديث ابن عباس ما يدل على أن هذه المدارسة كانت في الليل، حيث قال: (وكان يدارسه القرآن ليلًا)، فدلَّ ذلك على مشروعية القراءة في الليل.

والقراءة في الليل أعظم نفعًا للإنسان، وذلك لحصول التدبر فيها، بسبب انقطاع القلب عن الشواغل والعوارض التي تكون في النهار، وبسبب ضعف الجسم في بعض الأحيان بسبب العمل،

---

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم (٦)، ومسلم في "صحيحه" برقم (٢٣٠٨).

إذا كان يعمل، ففي الليل يكون قد ارتاح وأخذ نصيبه من الطعام والشراب، فاستجمع القوة، وأيضًا لبُعده عن الناس والاختلاط بهم، وقلة الخروج إلى الشواغل التي تشغل الإنسان عن القراءة في النهار، ففي الليل يحصل له هذا، فيستجمع فِكْرَه ولُبَّه على القراءة، فحينئذٍ يتدبر، وأنتم انظروا إلى الأمر بتدبر القرآن وترتيله متى؟ في الليل.

قال -جل وعلا- مخاطبًا رسوله ﷺ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ۝٢ نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا ۝٤﴾ [المزمل:١-٤].

فكان الأمر بترتيل القرآن في الليل لما ذُكر؛ ولأنه أبعد عن الرياء، وأدعى إلى الإخلاص حين الخلوِّ بالله-جل وعلا-، والأنس به-سبحانه وتعالى-.

فقراءة الليل لها منزلة عظيمة عند الله -جل وعلا-، فلذلك أمر الله بها، ﴿وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا ۝٤﴾ [المزمل: ٤]، فترتيله في الليل يحصل به لذَّةُ المناجاة، وحلاوتها مع رب العباد -تبارك وتعالى-، فيُشرع للمسلم أن يخلو بليله، ويحفظه في قراءة القرآن، ويُكثر فيه من القراءة، والنبي ﷺ كان هذا حاله-عليه الصلاة والسلام-.

ولقد كان أصحابه -رضي الله عنهم تعالى- في هذا عجبًا في قراءتهم، وفي قراءتهم في صلاتهم -رضي الله تعالى- عن الصحابة ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، فكان- عليه الصلاة والسلام- يقرأ ويحيي ليله ﷺ بالقراءة كما أمره ربه -تبارك وتعالى-.

فينبغي للمسلم أن يتعاهد هذا القرآن، فإذا لم يتعاهده في شهره الذي أُنزل فيه، فمتى ستكون هذه المعاهدة؟ ومتى سيكون هذا التعاهد لهذا الكتاب.

النبي ﷺ يقول: (**اقْرَأُوا الْقُرْآنَ؛ فإِنَّ لَكُم بِكُلِّ حَرْفٍ تَقْرَؤونَهُ حَسَنَة، والحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، لَا أَقُولُ آلم حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ، وَلَامٌ حَرْفٌ، وَمِيمٌ حَرْفٌ**)[1]، ثلاثين حسنة في (الم)، فكيف إذا ختمت مرةً، ثم مرةً، ثم مرةً، ثم مرةً، كم سيكون لك من الأجر؟

-كان سعيد بن جبير يختم كل ليلتين-رضي الله عنه-في رمضان.

-والأسود بن يزيد النخعي -رحمه الله- كان يختم كل ليلتين في رمضان.

-وقتادة كان يختم كل سبع ليال، فإذا دخل رمضان ختم في كل ثلاث، فإذا دخلت العشر ختم في كل ليلة، سبع، ويروى ست ليال يختم، إذا دخل رمضان ختم في كل ثلاث، كم يصير عندك ختمة؟ عشرين يوم وهو يختم في كل ثلاث، فإذا دخلت العشر ختم في كل ليلة، هذا شيءٌ عجيب -رحمهم الله تعالى-.

- البخاري -رحمه الله- كان يجمع أصحابه طلبة الحديث، فيختم بهم صلاة التراويح في كل ثلاث ليال ختمة يختم بهم، وفي النهار بمفرده يختم كل يوم ختمة، هذا الإمام البخاري -رحمه الله- هذا العمل منهم استمدوه من الحديث الذي ذكرناه أنَّ النبي ﷺ كان يدارسه القرآن جبريل كل سنة مرة، لما كان العام الذي توفي فيه دارسه القرآن فيه مرتين.

فينبغي للمسلم أن يُكثر من الختم في هذا الشهر، لا سيما والبواعث موجودة التي تعين على قراءة القرآن، والصوارف مفقودة أو ضعيفة، فإذا فُقدت الصوارف أو ضعفت ومع ذلك لم تختم يا عبد الله فمتى ستختم القرآن؟! تمر عليه متى؟!

---

(١) أخرجه الترمذي في "جامعه" برقم (٢٩١٠) بلفظ: (من قرأ حرفًا من كتاب الله فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول الم حرف، ولكن ألفٌ حرفٌ، ولامٌ حرفٌ، وميمٌ حرفٌ).

فالله الله -معشر الإخوان- في هذا الجانب، ينبغي للمسلم ألا يشبع من هذا القرآن، كلام الله الذي أنزله على رسوله ﷺ يقول عثمان -رضي الله تعالى عنه وأرضاه-: (والله لَو صحَّت قلوبهم ما شبعوا من القرآن)[1].

النبي ﷺ أرشد إلى الختم في كل شهر مرة، فلم يزل عبد الله بن عمرو -رضي الله عنهما- يقول أنا أجد فيَّ قوة، وأنا شاب وأجد فيَّ قوة، إلى أن انتهى به إلى ثلاث، ما دون الثلاث لا، طيب كيف هذا الذي نسمعه الآن.

الحافظ ابن رجب -رحمه الله- في لطائف المعارف، قال: (إنما هذا النهي على المداومة).

وفعلًا المتأمل -حفظكم الله- لحديث ابن عمرو يجد أنَّ مراجعته للنبي ﷺ يريد بها المداومة، إني شاب وأجد فيَّ القوة، فالنبي ﷺ لم يزل به، لم يزل به، لم يزل به إلى الثلاث، فدلَّ ذلك على أن عبد الله بن عمرو كان يريد به الحال الدائمة، فالنبي ﷺ لعلمه بأنَّ الإنسان سيضعف، لم يزل به يراجعه حتى انتهى به إلى الثلاثة أيام، أما إذا كان لأمر عارض كوقتٍ فاضلٍ، وزمنٍ شريفٍ كرمضان، أو يقول -رحمه الله-: (لمكان أيضًا فاضلٍ شريف كمكة لمن قدمها وليس من أهلها، فينبغي له أن يستغل ذلك فيكثر من الختم وقراءة القرآن في مثل شهر رمضان، قال: وهذا مذهب أحمد وإسحاق وغيرهم ممن تقدمهم)[2] -رحمه الله-، والدليل في هذا الذي سمعناه من حديث ابن عباس -رضي الله تعالى عنهما-.

فينبغي لنا أن نعتني بهذا القرآن قراءةً، وتدبرًا، وتفهمًا، وحبَّذا لو كان معه شيء من التفسير اليسير، لا تطيل على نفسك حتى تفقه معاني الآيات، وتعرف مدلولاتها في سطر ونحو ذلك.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد -رحمه الله- في "فضائل الصحابة" (١/ ٤٧٩) ولفظه: (قَالَ عُثْمَانُ: لَوْ طَهُرَتْ قُلُوبُكُمْ مَا شَبِعَتْ مِنْ كَلَامِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ).

(٢) ونصُّ كلامه -رحمه الله- (ص٣٠٦): (وإنما ورد النهي عن قراءة القرآن في أقل من ثلاث على المداومة على ذلك، فأما في الأوقات المفضلة كشهر رمضان خصوصا الليالي التي يطلب فيها ليلة القدر أو في الأماكن المفضلة كمكة لمن دخلها من غير أهلها فيستحب الإكثار فيها من تلاوة القرآن اغتناما للزمان والمكان وهو قول أحمد وإسحاق وغيرهما من الأئمة وعليه يدل عمل غيرهم).

فتتفهم هذا الكتاب وتدبره، لأنَّ الله -جل وعلا- يقول: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ ٢٩﴾ [ص:٢٩]، فهذا هو الذي يُطلب من المسلم في كتاب الله، وهو التدبر لهذا الكتاب الذي أنزله الله -جل وعلا- على رسوله ﷺ.

الأمر الثالث: الصلاة في رمضان، وقيام الليل في رمضان، أنتم ترون المساجد كيف هي في رمضان، وكيف هي في غير رمضان، كل مسجد -والله حقيقةً- لو أنَّ أهل الحي صلوا فيه ما اتَّسع لهم، ولكن نسأل الله -جل وعلا- اللطف والمسامحة، من يصلي في بيته، ومن يتأخر عن الصلاة فتفوته، ثم يرجع يصلي في بيته، ومن هو معذور ربما في عمله فيحتاج إلى أن يُصلِّي في مسجد آخر، لكن أوقات سُكُون الناس مثل الفجر لو صَّلى الناس جميعًا في أحيائهم، في مساجدهم لما اتَّسعت لهم، وأنتم ترون المساجد الفجر في رمضان والمغرب، أنا أقيس الفجر والمغرب؛ لأنَّ الفجر بعد سحور فالناس في بيوتهم، أكثر ما يكونون في بيوتهم، انظر إلى المساجد يُصلُّون إلى الأبواب، والمغرب لأنَّ الناس في بيوتهم على إفطارهم، يُصلُّون إلى الأبواب، فلو كانوا في الأيام العادية وقت الفجر وهم كلهم في بيوتهم صلوا في مساجدهم، بعض المساجد ما تجد فيها إلا الصف ولا يتم، -نسأل الله اللطف والمسامحة والعفو والمغفرة-.

السلف -رحمهم الله- كانوا في هذا الباب عجبًا، وقدوتهم في ذلك رسول الله ﷺ، فلقد قام ﷺ الليل حتى تفطَّرت قدماه؛ امتثالًا لقوله -جل وعلا-: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ١ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ٢ نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا ٣ أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا ٤﴾ [المزمل:١-٤].

فينبغي للمسلم أن يعتني باللَّيل وبصلاة اللَّيل، صلاة اللَّيل هي دأب الصَّالحين من قبلنا -رحمهم الله وغفر لنا ولهم-، (**نِعْمَ الرَّجُلُ عَبْدُ الله لَوْ كَانَ يُصَلِّي مِنْ اللَّيل**)، قالت: فما ترك عبد الله قيام اللَّيل حتى فارق الدنيا(١).

---

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم (١١٢١)، ومسلم في "صحيحه" برقم (٢٤٧٩).

عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما- النَّاسك، كان يقوم اللَّيل ولا يدع قيام الليل، وهذه الصفات المؤمنين -عباد الله -في رمضان وغيره، ﴿كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الذاريات:١٧-١٨].

فمدحهم بوصفين: طول القيام، والاستغفار في الأسحار.

طول القيام قليل من الليل ما يهجعون، النوم قليل، لكن ما هو على السهر مثلنا اليوم، ما هو على السهر، على العبادة، ويا عبد الله إذا كان ذلك يحصل ويخف عليك في اللهو، فلا يثقل عليك في طاعة الله، ولو بالوتر أقل شيء الذي لا يعرفه بعض الناس إلا في رمضان.

الوتر لم يدعه النبي ﷺ لا حضَرًا ولا سفرًا -صلوات الله وسلامه عليه-، وإذا فاته قضاه من نهاره ثنتي عشرة ركعة؛ لأن آخر وتره -عليه الصلاة والسلام- كان إحدى عشرة ركعة، انتهى وتره إلى آخر الليل ﷺ إحدى عشرة ركعة، فكان إذا فاته قضاه في النهار ثنتي عشرة ركعة كما في حديث عائشة -رضي الله عنها- في الصحيح(١).

الوتر كثير من الناس يتساهل فيه، مع أنَّ النبي ﷺ قد حضَّ عليه قال: **(يَا أَهْلَ القُرْآنِ أَوْتِرُوا، فَإِنَّ اللهَ وِتْرٌ يُحِبُّ الوِتْرَ)**(٢)، ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾﴾ هو الواحد -سبحانه وتعالى-، ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص:١-٤]، فهو وتر واحد لا شريك له -سبحانه وتعالى- فيُحبُّ من عباده أن يوتروا، كثير من الناس كما قلنا يتساهل، وبعضهم لا يعرف الوتر إلا في رمضان.

أَقَل شيء الوتر يا عبد الله من الليل لا يفوت عليك، فإذا جاء رمضان فلا تُفَوِّت صلاة التراويح مع الناس، فعليك بقيام الليل، هذا الأمر الثالث.

---

(١) أخرجه مسلم في "صحيحه" برقم (٧٤٦).

(٢) أخرجه أبو داود في "سننه" برقم (١٤١٦)، والنسائي في "سننه" برقم (١٦٧٥)، وابن ماجه في "سننه" برقم (١١٦٩).

والحمد لله الآن القراءة ميسورة -معشر الإخوان-، قراءتنا خفيفة، خفيفة جدًا، جزء واحد في عشر ركعات إذا طوَّل المطوِّل، وإذا كان في الحرمين أو المساجد التي مثلها تصلي عشرين ركعة، فيذهب الجزء خفيفًا في كل ركعة، المقدار المقروء، وقد كان سلفنا الصالح -رحمهم الله تعالى- يرون أنه إذا قُرِئت سورة البقرة بهم في عشر ركعات في رمضان، يرون أنه قد خُفِّفَ عليهم، اليوم البقرة نحن نأخذها في ثلاث ليال، وأربع ليال وليلتين ونصف، إذا كنا نختم صح ولا لأ؟ هم كانوا يقومون بالبقرة في ثمان ركعات فإذا جاء إمام وصلى بهم في عشر ركعات قالوا: جزاه الله خيرًا، هذا خفَّف علينا، اليوم من يجلس معك هذا؟ ومع هذا صلاتنا خفيفة الآن، سلفنا الصالح -رحمهم الله- كانت خفة نفوسهم في قيام الليل.

ضاف أبو عثمان النهدي، وهذا الذي بسببه جاء في ترجمة أبي هريرة ذكر هذه المنقبة له، ضاف أبو عثمان النهدي أبا هريرة، نزل عنده استضافه سبعًا، أسبوعًا، ثم أخبر عن حاله، قال: فرأيته هو وزوجه وخادمه يقتسمون الليل، ينام هذا ثم يوقظ هذا، ثم يوقظ هذا هذا، يعني يُقسِّمون الليل ثلاثة أثلاث، نِعْمَ الرجل، ونِعْمَت المرأة، ونِعْمَ الخادم، واليوم لو نجلس نحن من الآن التباشير بالمسلسلات وبالأفلام التي ستأتي، وبالمسابقات التي ستأتي، فيذهب الليل فيها والنهار نوم عند كثير من الناس، إلا من رحم الله -تبارك وتعالى-، فرقٌ بين الحال الأول والحال الحالي، ولا أزعم أنَّ الخير قد ذهب، الخير موجود، لكن نحب أن يكون فينا جميعًا، وبعضنا يُذكِّر بعضًا، وإلا ليس المُذكِّر لكم مثلي بأفضل منكم بل أسوء، ونسأل الله العفو واللطف والمسامحة، ونسأل الله الإعانة على أنفسنا.

فقيام الليل دأب الصالحين قبلنا، النبي ﷺ قام بأصحابه -رضي الله عنهم- الليلة الأولى، ثم قام الليلة الثانية، ثم قام الليلة الثالثة، وفي رواية أنه لم يأتِ الثالثة، شك الراوي الثالثة أو الرابعة، اختفى ﷺ عنهم، فأخذوا يتمحَّكون بجدار حجرته ﷺ، يتمحَّشون فيها يريدون إعلامه أننا

موجودين، يعني اخرج إلينا، فخرج إليهم في الغداة، وقال لهم: (**أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّهُ لَمْ يَخْفَ عَلَيَّ شَأْنُكُمُ اللَّيْلَةَ، وَلَكِنِّي خَشِيتُ أَنْ تُفْرَضَ عَلَيْكُمْ صَلَاةُ اللَّيْلِ فَتَعْجِزُوا عَنْهَا**)[1].

فالله -سبحانه وتعالى- ندبنا إلى هذا ندبًا، والحمد لله لم يفرضها علينا فرضًا، لكن العاقل عليه أن يستعد، وعليه أن يبادر في مثل هذا الشهر، الذي هو بهذه المثابة التي ذكرناها قبل قليل، فعليه أن يحرص على قيام الليل.

يقول ﷺ: (**مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**)[2]، وهذا هو الشطر الثاني من الحديث المتقدم، فقيام الليل سبب في غفران الذنوب، إذا كان إيمانًا بالله واحتسابًا للثواب عنده والأجر عنده، لا يريد عاجله في الدنيا، ما يريد ثناءً من الناس عليه بأنه كثير الصلاة، مواظب على الصلاة، مواظب على القيام لا، إنما احتسابًا للأجر عند الله -تبارك وتعالى-، (**غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**)، كم نجلس الآن في التراويح؟ نصف ساعة في عموم المساجد، ما عدا المسجدين، المسجدان صلاة التراويح فيها تقريبًا مع العشاء ساعة ونصف تقريبًا، ما هي ساعة ونصف في أربع وعشرين ساعة؟ ليست بشيء، وهذه الساعة والنصف هي التي تبقى لك والباقي انظر إلى فيها من التخليط إذا كان فيها تخليط، فينبغي للإنسان أن يقوم إلى هذا: (**مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**)، كان يُرغِّب في قيامه من غير عزيمة فيه ﷺ.

وقام -عليه الصلاة والسلام- بأصحابه ليلة حتى خافوا أن يفوتهم الفلاح يعني السحور، خافوا أن يفوتهم الفلاح، هذا من طول القيام[3].

---

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم (٩٢٤)، ومسلم في "صحيحه" برقم (٧٦١).

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم (٣٧)، ومسلم في "صحيحه" برقم (٧٥٩).

(٣) أخرجه أبو داود في "سننه" برقم (١٣٧٥)، والترمذي في "جامعه" برقم (٨٠٦)، والنسائي في "سننه" برقم (١٣٦٤).

كانوا يقرؤون بالمِئين، جاء ذلك في حديث السـائب بن يزيد – رضي الله تعالى عنه- قَالَ: (أَمَرَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ أُبَيَّ بْنَ كَعْبٍ وَتَمِيماً الدَّارِيَّ، أَنْ يَقُومَا لِلنَّاسِ بِإِحْدَى عَشْـرَةَ رَكْعَةً، قَالَ: وَقَدْ كَانَ الْقَارِئُ يَقْرَأُ بِالْمِئِينَ، حَتَّى كُنَّا نَعْتَمِدُ عَلَى الْعِصِيِّ مِنْ طُولِ الْقِيَامِ)(١).

فين طول القيام عندنا اليوم؟ فين؟ أنا مرة من المرات دخلت مع قوم في منطقة من المناطق، صلينا وخرجنا بسورة الواقعة، التراويح كلها، ولكن بتأنٍ وتدبر، يقرأ قراءة مترسلة ومتأنية، ويصلي بنا ثماني ركعات، كانت طويلة السجود والركوع تسبح لله، وتدعو الله –تبارك وتعالى- وحصل لنا المقصود، وخرجنا في قرابة خمسة وثلاثين دقيقة، ثماني ركعات مع الوتر، فين المئين؟ أين هذا الشاق؟ ما في مشقة.

فالعبد إذا جاء وهو عازم على أداء هذه العبادة، وانشرح لها صدره، وذاق حلاوتها، والله ليجدنَّ ضدها في المفارقة، وهذا دليل على قوة إيمانه، ودليل على أنَّ حلاوة العبادة قد خالطت بشاشة قلبه، والدليل على ذلك ما جاء في الحديث الصحيح الذي تعرفونه أيضًا وهو أنَّ النبي ﷺ صلى بأصحابه ذات ليلة في رمضان فتجوَّز، فقالوا: يا رسول الله، لو نفلتنا بقية ليلتنا، ماذا قال لهم؟ قال: (**إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا صَلَّى مَعَ الْإِمَامِ حَتَّى يَنْصَرِفَ كُتِبَتْ لَهُ قِيَامُ لَيْلَةٍ**)(٢).

فيا عبد الله، انظر إلى هذا الأجر، اصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم في هذه الدقائق، اصبر نفسك نصف ساعة، ساعة إلا ربع، ما أظن أنا نصل في عموم مساجدنا ساعة إلا ربع، الغالب أربعين دقيقة، خمس وثلاثين دقيقة، وثلاثين دقيقة هذا الغالب نصف ساعة، وخمس وثلاثين دقيقة، كأنما قمت الليل كله.

---

(١) أخرجه مالك في "موطئه" برقم (٣٠٢).

(٢) أخرجه أبو داود في "سننه" برقم (١٣٧٥) من حديث أبي ذر، قال: صمنا مع رسول الله ﷺ رمضان، فلم يقم بنا شيئا من الشهر حتى بقي سبع، فقام بنا حتى ذهب ثلث الليل، فلما كانت السادسة لم يقم بنا، فلما كانت الخامسة قام بنا حتى ذهب شطر الليل، فقلت: يا رسول الله، لو نفلتنا قيام هذه الليلة، قال: فقال: «إن الرجل إذا صلى مع الإمام حتى ينصرف حسب له قيام ليلة».

فينبغي لك أن تقوم مع الإمام، وتحرص على صلاة التراويح، وتقوم معه حتى ينصرف فإن صَّلى ثماني فالحمد لله، وأوتر بثلاث إحدى عشرة، وإن زاد ثلاث عشرة كما في حديث ابن عباس فالحمد لله، كل ذلك وردت به السنة، وإن زاد أكثر من ذلك فالأصل فيه حديث قوله ﷺ: **(إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا صَلَّى مَعَ الْإِمَامِ حَتَّى يَنْصَرِفَ كُتِبَتْ لَهُ قِيَامُ لَيْلَةٍ)**.

وانصراف الإمام المراد به: فراغ الصلاة بدلالة قول الصحابة – رضي الله عنهم-: (لو نفَّلتنا بقية ليلتنا)، الصلاة انتهت وهم يطالبون بالتنفيل بالنفل في صلاة الليل، الآن ينصرف لو كان هناك إمامان هذا وهذا يتعاونان كما في حديث أُبي وتميم الداري، فينصرف الإمام الأول الصلاة ما انتهت فالمراد بالانصراف تمام الصلاة لا أنه ينصرف الإمام الأول، (لو نفَّلتنا بقية ليلتنا)، فقال: **(إِنَّهُ مَنْ قَامَ مَعَ إِمَامِهِ حَتَّى يَنْصَرِفَ)** يعني حتى يفرغ من الصلاة **(كُتِبَ لَهُ قِيَامُ لَيْلَةٍ)**.

فينبغي للمؤمن أن يحرص على أن ينصرف مع إمامه في التراويح، وعليه أن يعلم أنَّ هذا الوقت اليسير يعادل قيام الليل كله، هو لا يستطيع أن يقوم الليل كله، صعب جدًا، فالصبر مع الإمام حتى تفرغ من التراويح كاملة، هذا يعدل قيام الليل كله، فعلينا أن نحرص على هذا.

وبعض الناس يقول السُّنَّة إحدى عشرة مادام الإمام يزيد عن إحدى عشر أنا ما أكمل، نقول له: والله هذا أحب إلينا، أن يصلي الإمام إحدى عشرة أو يصلي الإمام ثلاث عشرة كما في حديث عائشة، أو حديث ابن عباس –رضي الله عنهم جميعًا–، وإنما إذا صليت مع إمام يزيد على ثلاث عشرة فانتقل إلى الحديث الآخر: **(إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا صَلَّى مَعَ الْإِمَامِ حَتَّى يَنْصَرِفَ كُتِبَتْ لَهُ قِيَامُ لَيْلَةٍ)**.

فلو صلى الإمام عشرين، صلى معه عشرين، حتى ينصرف فيحصل لك هذا الأجر المُعلَّق على انصراف الإمام، ولتعلم أنَّ المرء إذا ذَكَر يوم القيامة خفَّ عليه في هذه الدنيا مقامه، يوم القيامة يتمنى ركيعات يؤديها لله –جل وعلا–، فيرتفع بها عند الله درجة ومنزلة، ولكن قد ذهب الوقت، الآن وقت الحصاد والنتائج ما عاد فيه تمنيات، فأنت في وقت الإمهال عليك أن تغتنمَه بصالح

الأعمال، وعليك أن تأخذ النفس بالجد، ولا تُرخي لها الزِّمام إلى الكسل، فإذا كان في وقت الجد، والناس كلهم مقبلون، والصوارف عنك مصروفة، والشواغل -ولله الحمد- عنك زائلة ومع ذلك لا تستغل، فأنت لست بالموفَّق!

يقول الحافظ ابن رجب -رحمه الله- في لطائف المعارف (ص٢٦٥): «من رُحِمَ في رمضان فهو المرحوم، ومن حُرِمَ خيرَه فهو المحروم، ومن لم يتزود لمعاده فيه فهو ملوم».

وصدق -رحمه الله- الذي ما يستغل رمضان في العبادة، متى؟! الناس كلها تشجعك مُقبلة معك، ما أنت بمفردك، كلهم مُقبلون على المساجد، فإذا لم تُقبل في هذا الوقت متى ستقبل؟!

أسباب التشجيع موجودة ولا لأ؟ موجودة، فإذا لم تتشجع مع التشجيع ووجود التشجيع فمتى ستتشجع؟!

كان عبد الله بن عمر -رضي الله تعالى عنهما- إذا فرغ الناس من صلاة التراويح أخذ ماءه ووضوءه وتطهر، وجاء إلى المسجد وقام حتى الصباح -رضي الله عنه-.

ومع هذا، الله -جل وعلا- قد تفضَّل علينا بهذا الأجر العظيم مع هذا العمل القليل، فلا أقل من أن نحرص -معشر الإخوة والأحبة- على الصلاة كاملة، صلاة التراويح مع الإمام، فيحصل لنا الفضل العظيم، وهو قيام الليل كله في نصف ساعة قمناها مع الإمام، أسأل الله -جل وعلا- أن يوفقنا وإياكم جميعًا.

ومما ينبغي للمسلم أن يحرص عليه في رمضان، بل يجب عليه ذلك: إمساك اللسان عن فضول الكلام الذي لا فائدة فيه، وأوجب ما يكون إمساكه للسانه عن الكلام الذي فيه الضَرر مثل: الغيبة، والنميمة، والكذب، واللغو، وقول الزور، وشهادة الزور، وهذا كله محرم في غير رمضان، وفي

رمضان آكد لما ثبت في الصحيح: (**مَنْ لم يَدَعْ قوْلَ الزُّورِ وَالعملَ بِهِ، والجهلَ، فَلَيْسَ لله حَاجَةٌ في أَن يَدَعَ طَعامَهُ وشرابَهُ**)(١).

قال العلماء: في هذا الحديث دليلٌ على أنه يجب الإمساك عن هذا كما يجب الإمساك عن الأكلِ والشرب وسائر المفطرات، يجب على المسلم في غير رمضان هذا وفي رمضان آكد، أن يُمسك عن هذه التي ذكرها النبي ﷺ: (**مَنْ لم يَدَعْ قوْلَ الزُّورِ وَالعملَ بِهِ، والجهلَ**) قل ما شئت تحت الجهل ما تشاء من بقية الكلام (**فَلَيْسَ لله حَاجَةٌ في أَن يَدَعَ طَعامَهُ وشرابَهُ**).

فدلَّ ذلك على أن هذه المحرمات من غيبة ونميمة، وكذب، وشهادة زور، وقول زور من مفسدات الصيام، مُنقِّصات الأجر فيه، تنقص الأجر، وتفسد عليك ما أردت بناءه من هذا الصيام عند الله -جل وعلا- يوم القيامة، فتجنب ذلك.

وقد جاء من حديث جابر - رضي الله عنه-:(إِذَا صُمْتَ فَلْيَصُمْ سَمْعُكَ، وَبَصَرُكَ، وَلِسَانُكَ عَنِ الْكَذِبِ وَالْمَحَارِمِ، وَدَعْ أَذَى الجَار)، وفي لفظ (أذَى الخادِمِ)، (وليَكُن عَليكَ وَقارٌ وسَكينةٌ ولا تجعَل يومَ صومِك ويومَ فطرِك سواءً)(٢) لماذا؟ لأنَّ الصوم يحجز عن المعاصي وشهوتها بسبب ضعف الجسم لعدم وجود الطعام والشراب، والنزوة الشيطانية تأتي مع الشِّبَع ومع الطعام والشراب.

ولهذا أخبرنا النبي ﷺ بأنَّ الشيطان يُضيَّق عليه في هذا الشهر العظيم، الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم، والغضب في ابن آدم يجري فيه بسبب الدم، فإذا جاءه الغضب جرى دمه فائرًا، فجاء كل بلاء بعد الغضب، والغضب من الشيطان كما صح ذلك عن رسول الله ﷺ.

---

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم (٦٠٥٧).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في "مصنفه" (٢/ ٤٢٢)، والحاكم في "معرفة علوم الحديث" (١/ ١٩)، ومن طريقه البيهقي في "شعب الإيمان" (٣/ ٣١٦).

فالجهل الذي يحصل للإنسان في غير الصيام في حال الفِطر، سببه الإكثار من الطعام والشراب، فحينئذٍ الشيطان يؤزُّه من المعاصي أزًا، وإذا قَلَّت الأطعمة والأشربة الواردة على هذا الجسم، وضُيِّق على الشيطان في مجاريها، فإنَّ الإنسان يكون أقرب إلى الحق، وإلى الخير بكثير مما كان عليه في غير رمضان.

فيجب على العبد أن يبتعد عن هذه الأسباب التي تضره، وعليه أن يمتثل قول النبي ﷺ الذي في صحيح مسلم، ويوجه فيه النبي -عليه الصلاة والسلام- أُمَّته هذا التوجيه النبوي الكريم الذي قال فيه: (**فَإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ أَو شَاتَمَهُ**)، وفي لفظ: (**أَو قَاتَلَهُ فَلْيَقُل إِنِّي صَائِم**)(١).

واختلف تفسير العلماء في لفظة (إني صائم) ما المراد بها؟

-فقال بعضهم يقول: (إني صائم) تذكيرًا لهذا الذي اعتدى عليه، لعله ينزجر ويقصر عن الأذية التي ربما استفزته هو فيقع في الرد عليه، فيقول (إني صائم)، يعني ما يمنعني من الرد عليك ومجاراتك إلا أني صائم، يحجزني الصوم لست بالعاجز، فلعله يتذكر، فيقصر الشر ويسلم الثاني.

-وقال آخرون -كالمازري وغيره من شُرَّاح صحيح مسلم-: المراد بهذا مخاطبة نفسه هو الصائم نفسه، يُذكِّر نفسه ويخاطبها بقوله لها: (إني صائم، إني صائم) مرتين جاء في لفظ الحديث في مسلم، وذلك ليزجرها هي عن أن تستجيب لداعي الغضب الذي حصل بسبب استفزاز المشاتم والمقاتل له، وكلا المعنيين صحيح، والحديث يحتمله، إن أراد هذا أو أراد هذا، كله بحمد الله الحديث يحتمله ويتوجه فيه.

فيجب على المسلم أيضًا: أن يتعاطى الأسباب الشرعية التي تبعده عن قول الزور، وشهادة الزور والجهل والسباب والشتام، فيحفظ لسانه عنه بهذا الذي ذكره النبي ﷺ، وما أكثر ما يحصل

---

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم (١٨٩٤)، ولفظه: (وإن امرؤ قاتله أو شاتمه فليقل: إني صائم مرتين)، وأخرجه مسلم في "صحيحه" برقم (١١٥١)، ولفظه: (فإن امرؤ شاتمه، أو قاتله، فليقل: إني صائم، إني صائم).

هذا، بل ومعي بعض إخوتي من المدينة حاضرون، بعضهم يختصمون أول يوم، في رمضان وفي مسجد النبي ﷺ وفي المسجد الحرام على محل السفرة، هذا المحل محلي لا ما هو محلي، بعضهم ويستبُّون، يريدون الخير فوقعوا بسبب هذا الاختصام في شر، ومتى؟ في زمن فاضل، ومكان فاضل فانظر إلى الجهل، المسجد يا أخي مليان، الحرم المدني مليان أمكنة، والحرم المكي مليان أمكنة يا أخي، اذهب إلى مكان ثانٍ، لكن للأسف يحصل مثل هذا، فهم بحاجة إلى التذكير بحديث رسول الله ﷺ إني صائم، هذا يحجزك، أنت لست بالضعيف، ويحجز أيضًا صاحبك إذا وافق منه بإذن الله أُذُنًا صاغية وقلبًا واعيًا، فيا عبد الله، إن جاءك شيء فتحرز من مثل هذا، والأصل أنك لا تتعرض لمثل هذه الأسباب التي توقعك فيما يجرح الصوم.

فعلى العبد أن يحفظ بصره، ولسانه، ويده، ورجله عما حرم الله -تبارك وتعالى- في غير رمضان وهو في رمضان آكد، لأنَّ هذا مما يجرح الصيام.

كما أحثُّ نفسي وأحبتي جميعًا بالمسارعة إلى الجود، والبذل، والعطاء في هذا الشهر، شهرُ رمضان العطاء فيه له منزلة، وقد صحَّ من حديث أنس -رضي الله عنه- أنَّ رسول الله ﷺ قال: **(أَفْضَلُ الصَّدَقَةِ صَدَقَةٌ فِي رَمَضَانَ)**[1]، فالصدقة في رمضان لها مكان، ومن ذلك تفطير الصائم، وثبت عن نبينا ﷺ أنه قال: **(مَنْ فَطَّرَ صَائِمًا فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِهِ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أَجْرِ الصَّائِمِ شَيْءٌ)**[2].

وقد قيل للنبي ﷺ في ذلك: ليس كلنا يجد ما يُفطِّرُ به الصائم، فقال النبي ﷺ: **(يُعْطِي اللَّهُ هَذَا الثَّوَابَ مَنْ فَطَّرَ صَائِمًا عَلَى تَمْرَةٍ، أَوْ شَرْبَةِ مَاءٍ)**[3]، فالماء تُبَل به الكبدُ الرطبة لك فيه الأجر العظيم، وعلى العبد أن يعتني بهذا.

---

(١) أخرجه الترمذي في "جامعه" برقم (٦٦٣).

(٢) أخرجه الترمذي في "جامعه" برقم (٨٠٧)، وابن ماجه في "سننه" برقم (١٧٤٦).

(٣) أخرجه ابن خزيمة في "صحيحه" برقم (١٨٨٧).

وقد كان عبد الله بن عمر -رضي الله تعالى عنهما- لا يُفطِر إلا مع المساكين في رمضان، وذكروا في ترجمته أنَّ أهله كانوا إذا منعوا المساكين من الإفطار معه رأفة به أحيانًا، لا يتعشَّى، تضيق نفسه -رضي الله عنه-، فلا يتعشَّى تلك الليلة -رضي الله عنه-.

وقد جاءه مرة سائل يسأله طعامًا، وكان على إفطاره، فأخذ نصيبه من إفطاره، وقام به إليه فرجع وأهل بيته قد أكلوا الطعام، فواصل جائعًا إلى الليلة الثانية، ما في البيت شيء، ثلاجة ما هي بمثلنا يذهب بَنْدَه، وهايبر بَنْدَه وما أدري مَن، ويجمع ما لا يأكلهُ في سنة، وبعضه باقي فيه سبعة أشهر، وثمانية أشهر تنتهي مدته، وما حال عليه رمضان الآخر فيتلف، رمضان ما جاء للاتخام، رمضان ما جاء لاتخام البطون جاء للتخفف، لتخف النفس، إذا خفَّ البطن خفَّت النفس، وانبعثت إلى العبادة، أنت انظر إلى الإبل إذا ضُمِّرت صَلَحت في السباق فإنما هذه العقبة الكأداء يُتهيأُ لها بالضمور ما هو بملء البطون، تهيأ لها بالضمور، ضمور البطون وقلة الطعام، فالعبادة إذا خفَّ الإنسان من كثرة الأكل والشرب نشط إليها.

هناك أربع أسباب ذكرها العلماء تعين على العبادة عمومًا وفي رمضان خصوصًا، فعلى العبد أن يتدبرها ويتأمل فيها، فمنها:

-أول ما ذكروا منها: قلة الإكثار من الطعام والشراب الذى يؤدى إلى التخمة، فيقوم الإنسان وهو ثقيل لا يستطيع يركع، ولا يستطيع يسجد، فعليه أن يتقلل من الطعام، فإن النبي ﷺ يقول: **(مَا مَلَأَ آدَمِيٌّ وِعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنٍ بِحَسْبِ ابْنِ آدَمَ لُقَيمَات يُقِمْنَ صُلْبَهُ، فَإِنْ كَانَ لَا مَحَالَةَ فَثُلُثٌ لِطَعَامِهِ، وَثُلُثٌ لِشَرَابِهِ، وَثُلُثٌ لِنَفَسِهِ)**[1]، الطعام له ثلث ما هو يملأ البطن كله ويقول: الماء يتخلل، والنفس يأتي لحاله، ما هو صحيح، إذا تخففت من الطعام خفَّت النفس وانبعثت، فهذا هو السبب الأول.

---

(١) أخرجه الترمذي في "جامعه" برقم (٢٣٨٠)، وابن ماجه في "سننه" برقم (٣٣٤٩).

-السبب الثاني: عليك بالقيلولة في النهار التي تعينك على قيام الليل، تراويح وقيام الليل في غير رمضان، أَقِل في النهار فإذا أَقَلت في النهار، ونُمت معه جزءًا من الليل تنبعث بإذن الله -تبارك وتعالى-.

-الأمر الثالث الذي يعينك على القيام والمبادرة إلى الطاعة: ترك كثرة المخالطة للناس بإذهاب الأوقات معهم، لابد لك من حفظ وقتك، فإنَّ كثرة المخالطة تضَر، ولو ما يأتي فيها إلا إذهاب الوقت لكفي به ضررًا، والوقت أنت مسئول أن تحفظه.

ومن الناس مخالطته بمنزلة الدواء، ومنهم من مخالطته بمنزلة الغذاء، ومنهم من مخالطته بمنزلة الداء، ومنهم من مخالطته بمنزلة الهواء، فالذي مخالطته بمنزلة الداء هؤلاء أصحاب السوء لا خير فيهم، مخالطتهم مضَرة على العبد في دينه ودنياه، والذي مخالطته بمنزلة الغذاء هذا تحتاج إليه في أوقات ما كل وقتك تأكل تأكل، أعلى ما تعد الأكل ثلاث وجبات؛ الصباح، وفي النهار وسط النهار، وفي المساء قبيل أن تنام، فهذا تخالطه بمنزلة الغذاء تجلس معه أوقات معدودة، ومنهم من مخالطته بمنزلة الدواء، فهذا تأتيه على قلة، تُوسِّع صدرك عنده بالمباح، تجد عنده حسن الكلام وطيب الكلام، وعنده من أشعار العرب، وأخبار العرب، والحِكم، والأمثال ما يُوسِّع به صدرك، وتُؤنِّس به نفسك، وتقضي فيه الوقت في غير معصية لله -تبارك وتعالى-، فهذا إذا احتجت جلست معه لتستجم وتجم نفسك.

ومنهم من صحبته بمنزلة الهواء إذا توقف تموت، هؤلاء هم الصالحون أهل الصلاح أهل العبادة أهل الطاعة الذين قيل فيهم: «لا تصحب إلا من تُذكِّرُك بالله رؤيته، أو تَدُلُّك على الله كِلمته»، وقال آخر: «لا تصحب إلا من يُذكِّرُك بالله حاله، أو يَدُلُّك على الله مقاله».

هؤلاء هم الأخيار فاصحبهم، فإذا صحبتهم فأنت الفائز بإذن الله، وإذا ما تركتهم ربما تضعف، وربما يتسلط عليك أهل السوء والشيطان -نسأل الله العافية والسلامة-، فإذا كنت تخشى

على نفسك من هذا، فالزم هؤلاء، فإنَّ لزومهم لك بمنزلة الهواء إذا توقف عنك تموت، التنفس يذهب، الأعمال الصالحة هي الغذاء للنفس، فالناس ما هم كلهم يخَالطون يا معشر الناس، أبدًا، الناس على هذه الطبقات، فعلى العبد أن يستغل هذه الأيام، وعليه أن يعلم قدرها، وعليه أن يحرص عليها.

ومما أختم به وأذكر به: الحرص على العشر الأواخر خاصة في هذا الشهر، وللأسف.

كان النبي ﷺ كما جاء في حديث عائشة: (**يجتهد في رَمَضَان مَا لَا يجْتَهد فِي غَيره، ويجْتَهد فِي الْعشْر الْأَوَاخِر منه مَا لَا يجْتَهد فِي غَيرهَا**)[1]، (**كانَ إذا دخَلَ العَشْرُ، شَدَّ مِئْزَرَهُ، وَأَحْيَا لَيْلَهُ، وَأَيْقَظَ أَهْلَهُ**)[2]، -صلوات الله وسلامه عليه-، فهو يشد مئزره يعني ينصرف عن النكاح والجماع، هذا أصح التفسيرين.

قومٌ إذا حاربُوا شدُّوا مآزرَهُم*** دونَ النّساء ...[3]

فالمراد به ترك الجماع، لأنَّ الجماع من ملذَّات النفس، ويذهب فيه الوقت الطويل، فكان النبي ﷺ يعتزل هذا في العشر الأواخر خاصة، ويوقظ أهله، قوموا صلوا.

﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَالْعَـٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾﴾ [طه:١٣٢]،

﴿قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا ﴿٦﴾﴾ [التحريم:٦].

خذ الأولاد معك إلى المساجد، والنساء يذهبن إلى المساجد، وهذه فرصتهن في رمضان اذهبوا، لكن لا تأخذك المرأة والأولاد إلى السوق، العشر الأواخر -للأسف- إلى الآن السائد بين الناس الاجتهاد في الأولى والوسطى، وإذا جاءت العشر الأخرى اجتهدوا في السوق، أشرف الليالي ليالي العشر التي فيها ليلة القدر، التي اعتكف لها ذات مرة النبي ﷺ عشرين ليلة يطلبها، حتى أُخبر أنها

---

(١) أخرجه مسلم في "صحيحه" برقم (١١٧٥).

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم (٢٠٢٤)، ومسلم في "صحيحه" برقم (١١٧٤).

(٣) هذا من ديوان الأخطل، وتكملة البيت: ولَوْ باتَتْ بأطْهارِ.

في العشر الأواخر ﷺ، هذه العشر إذا دخلت انطلق الناس للسوق، يقضون مقاضي العيد إلى السحور، وربما يتسحرون في السوق ويكملون بعد الفجر يروحون الساعة تسعة صباحًا، هذا والله المضيعة، هذا والله سخافة العقل، إن كان ولا بد يا عبد الله، و قد ابتليت بشيء من هذا، ولا تجد وقتًا مع أنَّ الأوقات موجودة، لكن لو فرضنا تخليه بعد الفجر، أو الظهر اذهب أنت، وترتاح حتى النساء ما هن في السوق، خذ أوراق قَيَّد فيها ما تشاء، ولتخبرك الزوجة بما تشاء للأولاد، واذهب أنت خذه، وخذ له نموذجًا معك مقاس، وخذه.

واحرص على وقت الليل لا يذهب الليل منك في العشر الأواخر، هذه العشر هي أفضل الليالي على الإطلاق، فيها ليلة خير من ألف شهر، من حُرِم خيرها فقد حُرم، ولذلك كان رسولنا ﷺ يعتكف العشر الأواخر من رمضان رجاء ليلة القدر - صلوات الله وسلامه عليه -.

فاللهَ اللهَ -معشر الأحبة- في العشر الأواخر، اللهَ اللهَ في العشر الأواخر، اللهَ اللهَ في العشر الأواخر، وأسأل الله -جل وعلا- كما قال مُعلَّى بن الفضل-: أن يُبلِّغنا وإياكم رمضان، فإنه قد ثبت عنهم -رحمهم الله- فيما سمعه مُعلَّى بن الفضل -رحمه الله- أنَّ السلف كانوا يدعون زمانه، في زمان التابعين ستة أشهر أن يُبلِّغهم الله رمضان، فإذا بلغوه دعوا ستة أشهر أن يتقبل الله منهم رمضان، وجاء بيان دعائهم في خبر يحيى بن أبي كثير -رحمه الله تعالى- أنه نقل عنهم أنهم كانوا يقولون: «اللهم سلِّمني إلى رمضان، وسلِّم لي رمضان، وتسلَّمه مني مُتقبَّلًا».

فأسأل الله -جل وعلا- أن يُسلِّمنا إلى رمضان، وأن يُبلِّغنا وإياكم هذا الشهر الكريم، إنه جوادٌ كريم، وصلَّى الله وسلَّم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه وأتباعه بإحسان.

[الأسئلة]:

[السؤال]: هذا سائل يقول: السلام عليكم ورحمة الله، (عليكم السلام ورحمة الله وبركاته) يقول: نسمع كثيرًا أنه لابد من طلب الأدب مع طلب العلم، ألا يكفي طلب العلم فقط لأنَّ العلم يحوي كل شيء؟

[الجواب]: لا، العلم له أدبٌ وآدابٌ، إذا جئت إلى العلم لابد أن تعرف كي تجلس، هذا آداب مجلس العلم، تعرف كيف تستمع، هذا آداب سماع العلم، تعرف كيف تسأل، هذا آداب السؤال للعالم، فلابد من ذلك، ولهذا قال يحيى بن أبي كثير: «نحن إلى كثير من الأدب، أحوج مِنَّا إلى كثير من العلم»، وجاء ذلك عن عبد الله بن المبارك، وجاء عنه -رحمه الله- أنه قال: «طلبت الحديث عشر سنوات، وطلبت الأدب عشرين سنة» -رحمه الله تعالى-.

وقد قيل للشافعي: كيف وَلَهُكَ إلى الأدب؟ فقال: «وَلَه الوالدة التي أضاعت رضيعها ليس لها سواه»، كيف يكون ولهها؟ تكاد تُجَن حتى تجده، ويقول: «وددت أن يكون لِي بكل عضوٍ سمعًا فأسمع به الأدب»، فالأدب للعلم وعاء، فإنَّ هذا العلم بلا آداب ينفضح معه صاحبه، فلابد له من آداب، فطلب الآداب للعلوم لابد منها.

[السؤال]: هذا يقول: رجل باشر زوجته وهو صائم فنزل منه المَنِيَّ، فهل عليه شيء؟

[الجواب]: نعم، عليه القضاء، يقضي يومًا مكانه، وعليه الإثم أيضًا؛ لأنه قد وقع منه هذا وهو يعلم أنه لا يملك نفسه، فإذا كان يعلم أنه لا يملك نفسه فعليه أن يبتعد عن ذلك.

[السؤال]: وهذا يقول: ما حكم السفر لأجل الإفطار؟

[الجواب]: يُعاقب بنقيض قصده، قال العلماء: من سافر لأجل ذلك، فإنه لا يحل له الإفطار، ولهذا شَرَطَ بعضهم في السفر أن يكون سفرًا مباحًا، لا سفر معصية، فإنَّ سفر المعصية لا يحل فيه الإفطار.

[السؤال]: يقول: أنا إمام، فكم أُصلِّي بالناس التراويح؟ وهل أُصلِّي بوجه أو بصفحتين؟ وهل أختم بالناس في صلاة التراويح أم لا؟ لأنَّ بعضهم يكره الإطالة ويَتفجَّر، فماذا أقول لهم؟

الجواب: أقول لك قد أرشدني أنا وأنت رسول الله ﷺ فقال: (**أَيُّكُم أَمَّ النَّاسَ فَلْيُخَفِّف**)[1]، هذا في الفريضة فالنافلة من باب أولى، هذا أولًا.

ثانيًا: أنت أعلم بجماعة حَيِّك.

ثالثًا: جماعة الحَي يتفاوتون، جماعة المسجد، منهم من يقبل الإطالة، ومنهم يصعب عليه الإطالة.

رابعًا: أنت ترى الجماعة قد يكون فيهم المريض والضعيف في الجسم، ومن لا يُصلي إلا على الكرسي يُريد معك أجر القيام، فلا تَشُق عليهم، ولا تكن كمن قال فيه النبي ﷺ: (**إِنَّ مِنكُم مُنَفِّرِين**)[2]، فلا تُنفِّر، فإذا كنت قد وصفت لنا أن بعضهم يكاد يَتَفَجَّر، فأنت لا تطيل عليهم، خِف عليهم في تمام، اقرأ الآيات القليلة، ولكن اركع ركوعًا تامًا، وسجودًا تامًا، أما أن تُطيل القراءة وتنقر الركوع والسجود هذا غير صحيح.

فأنت عليك أن تلطف بهم، ولستَ مكلفًا بقراءة وجه ولا بقراءة وجهين، بل ولستَ مكلفًا بالختم، بل لم يثبت عن النبي ﷺ هذا، ولم يثبت عن أصحابه.

لعل قائلًا يقول النبي ﷺ خشي أن تُفرض، طيب، لو كان هذا من المشروع ما تُرك في ديننا، نقول له، الرد عليه: لو كان الختم مشروعًا ما تُرك في ديننا، فإنَّ النبي ﷺ قد فعل هذا مع أصحابه، وعمر -رضي الله عنه- لما أعاد الناس وجمعهم على أُبي بن كعب وتميم الداري - رضي الله عنهما-،

---

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم (٩٠)، ومسلم في "صحيحه" برقم (٤٦٧).

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم (٧٠٢)، ومسلم في "صحيحه" برقم (٤٦٦).

كانوا يقومون بهم قيامًا طويلًا لكنهم لم يختموا، فأنت تنظر إلى حال الجماعة، وقد تستطيع الختم إذا جاءت العشر الأواخر فَتُدخل قراءة العشر الأواخر في التهجد الأخير مع قراءتك هذه ولا بأس.

[السؤال]: هذا يقول: إني أُحبكم في الله (وأنا أقول أَحبك الله الذي أحببتنا فيه) يقول: هل يجوز أن تُقبِّل أهلك وأنت صائم؟ وهل يجوز أن تنام بجوار زوجتك في نهار رمضان؟

[الجواب]: يجوز، لكن بالشرط الذي ذكرنا قبل قليل، تملك نفسك كما جاء ذلك في حديث عائشة-رضي الله عنها- في الصحيح[1]: (**أَنَّهُ كَانَ يُبَاشِرُ وَهُوَ صَائِمٌ وَلَكِنَّهُ كَانَ أَمْلَكَكُمْ لِإِرْبِهِ**)، يملك نفسه، فإذا كنت تملك نفسك لا بأس، كما جاء ذلك في حديث عمر حينما أخبر النبي ﷺ رجلًا بذلك فقال له: (أرأيت إن تمضمضتَ بماء وأنت صائم؟) يعني عليك شيء؟ لا، لكن المبالغة في الاستنشاق خاصة (**وَبَالِغْ فِي الِاسْتِنْشَاقِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ صَائِمًا**)[2]، لأنه يُخشى مع المبالغة يذهب إلى الجوف، تَبلَع هذا الماء، فهكذا أنت في هذا الباب، وإن كانت هي بمثابة المضمضة لا شيء عليك، لكن يُخشى عليك أحيانًا يطير إلى جوفك، فأنت تأتي تُقَبِّل فَتُقْبِل، فتأتي تُضاجع تنام بجوارها فتُضاجع، فأنت انظر لحالك لو فعلت هذا لا شيء، لكن إذا حصل منك ما حصل فاعلم أنَّ هذا المحظور الذي لأجله تكلم أهل العلم، فأنت عليك أن تبتعد، الذي ننصحك به أن تبتعد عن دواعي الجماع.

[السؤال]: وهذا سؤال عن حكم التصوير الفُوتُوغرافي؟

[الجواب]: هذا قولي فيه معروف، وكلام أهل العلم معروف، ليس بجائز إلا لما دعت إليه الضَرورة، فإذا دعت هناك ضرورة من رخصة أو بطاقة أحوال، أو جواز، أو أي معاملة رسمية حكومية تتوقف الأعمال عليها، وحياتك تتوقف عليها شئون حياتك، لا بأس بذلك؛ لأنَّ

---

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم (١٩٧٢)، ومسلم في "صحيحه" برقم (١١٠٦).

(٢) أخرجه أبو داود في "سننه" برقم (١٤٢)، والترمذي في "جامعه" برقم (٧٨٨)، والنسائي في "سننه" برقم (٨٧) وغيرهم.

الضَرورات تبيح المحظورات، والأصل في ذلك قول الله-جل وعلا-: ﴿وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ ۗ ﴿١١٩﴾﴾ [الأنعام:١١٩]، فإذا جاءت الضَرورة فلا بأس، وما عدا ذلك لا.

[السؤال]: وهذا يقول نشهد الله أننا نحبك في الله (أسأل الله-جل وعلا- أن يجعلنا وإياكم من المتحابين فيه) يقول: هل من الممكن التوفيق بين الدنيا وطلب العلم، وما هو توجيهكم؟

[الجواب]: نعم من الممكن التوفيق بين هذا وهذا، إذا لم يكن لك ما يَكفلك من راتب في بيت المال في بلدك، فتستطيع تعمل يومًا وتدرس يومًا، والدراسة ليست يا أخي ومحبي هي النظامية فقط، الدراسة التي هي طلب العلم يرفع الله به عنك الجهل وتعرف به حكم ما أوجب الله عليك؟ وما حرم عليك؟ هذا هو العلم.

أما الدراسة لأجل الوظائف والتخرج الرسمي هذه ما هي علم، فقد يتخرج منها وهو ما معه شيء، كما قال بعض زملائنا: (تعلَّم العلم واطلب لأجل مائتين وعشرة -مكافأة المعهد زمان- تخرج من العلم صفرًا سوى قميصا وغُترة)، صدق ما معه شيء، نجح لكن الذي قرأه العام نسيه، والسنة هذه الذي قرأه نسيه، وإذا تخرج وإذا بالذي قرأه كله نسيه، وإذا وصل للوظيفة [تقفِّي].

فالعلم لا، العلم هو معرفة ما يجب لله-تبارك وتعالى- عليك من حقوقه في المسجد، في حِلَق العلم الخاصة والمخصصة غير النظامية، المهم أنك تستطيع تتعلم.

والأصل في ذلك حديث عمر-رضي الله تعالى عنه-: «كنت وجار لي بعوالي المدينة، كنا نتناوب النزول إلى رسول الله ﷺ، فكان ينزل إلى النبي ﷺ يومًا وأنزل يومًا، فإذا نزل أتاني بالوحي الذي نزل في ذلك اليوم، وإذا نزلت أتيته أنا بمثل ذلك»[1]، فإذا كان كذلك فالحمد لله، وقِسْ على هذا، قد لا تكون عندك يوم ويوم، أسبوع وأسبوع، قد لا يكون تتفرغ شهرًا لطلب، والعلم شهرين أو ثلاثة أشهر وتسعة أشهر تشتغل فيها، فلا بأس تستطيع -ولله الحمد- تعمل وتشتغل.

---

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم (٨٩).

وسلفنا الصالح، هذه الوظائف ما جاءت إلا من مائة سنة أو قريب أقل من ذلك، الأولون كلهم كانوا يتعلَّمون ويعملون، هذه المكتبة الإسلامية الضخمة جاءتنا وهم موظفون؟ لا، يعملون سمَّاك، وزيَّات، وزعفراني، وصفَّار، ونحَّاس، ونجَّار، وخذ من ذلك كله هذه الألقاب لعلماء كثيرين في الإسلام، كانوا قائمين على أعمالهم ومِهَنِهم.

ولهذا جاء في باب علوم الحديث من أبواب علوم الحديث، النسبة إلى المِهَن والصنائع، فعلماؤنا الأولون كانوا عُمَّال أنفسهم، بل أصحاب النبي ﷺ -كما سمعتم قبل قليل في الكلام- كانت لهم أرواح يروحون إليها لهم مزارع لهم أعمال.

وحديث عائشة -رضي الله عنها-: «كان أصحاب رسول الله عُمَّال أنفسهم، وكانت لهم أرواح يرحون إليها» يعني أعمال ومزارع وأشغال «فقيل لهم لو اغتسلتم» يعني يوم الجمعة حتى ما تأتي فيكم هذه الروائح، فنعم يا أخي، ذلك ممكن ولله الحمد.

[السؤال]: وهذا السائل يقول: لقد فاتني صيام بعض الأيام من رمضان عام ١٤١١ وكان عندها عمري١٣ سنة جهلًا مني.

[الجواب]: هذا ليس بواجب عليك، أبو ثلاثة عشرة سنة ليس بواجب عليه إلا أن يكون قد خرج عن المألوف المعتاد بلغ، نبتت له العانة أو احتلم في ثلاثة عشرة فحينئذ يكون بالغًا، ونقول عليك التوبة إلى الله، وعليك أن تقضي، وتطعم مع كل يوم مسكينًا احتياطًا.

[السؤال]: يقول: أيها أفضل قراءة القرآن في رمضان تلاوةً والإكثار منها أم حفظه ومراجعته؟

[الجواب]: والله تستطيع أن تجمع بين الاثنين كلما ختمتَ ختمة ما تكون راجعت المحفوظ؟ إذا أكثرت من الختم مرتين ثلاثة أربع مرات، ما تكون كل ختمة راجعت الجزء المحفوظ؟ تكون

راجعت –وإن شاء الله تعالى– في بعد رمضان إن استطعت تواصل الحفظ، لكن عليك بالإكثار من تلاوة القرآن في رمضان.

[السؤال]: وهذا نفس الحكاية يقول: امرأة تساهلت في أداء ما عليها من القضاء منذ رمضان الماضي، والآن سيدخل عليها رمضان، ولم تكمل القضاء، فماذا عليها الآن؟

[الجواب]: عليها أن تقضي بعد رمضان تقضي هذا الذي تركت، وتطعم عن كل يوم مسكينًا احتياطًا.

[السؤال]: وهذا يقول: كيف يحيي الر جل قلبه بعد أن كان يعصي الله.

[الجواب]: يحييه أولًا: بالبعد عن المعصية أول شيء.

وثانيًا: البعد عن أسبابها من رفقة سيئة، أو نحو ذلك نظر محرم، أو نحو ذلك سماع محرم، أو سفر محرم، كل الأسباب التي تؤدي إلى هذا، فيبعد عن المعصية بالتوبة، يبتعد عن أسبابها، يجالس الصالحين الذين قلنا لكم قبل قليل منهم من صحبتهم لك بمثابة الهواء، إذا انقطع عليك تموت، تتنفس به، فعليك بمصاحبة الصالحين اصحبهم والزمهم، فإنك تكسب الخير العظيم في مجالستك لهؤلاء، ويعصمونك بفضل الله ورحمته من أن تعود إلى ما أنت عليه.

ثم عليك بالإكثار من قراءة القرآن، وعليك بالإكثار من التضرع والدعاء لربك –تبارك وتعالى– أن يعصمك كما وفقك للتوبة، أن يعصمك فيما بقي من عمرك، وانطرح بين يدي الله بهذا الدعاء كثيرًا، ادعُ الله بأن يرحمك، وأن يعصمك وأن يُثبتك، وأن يربط على قلبك، فأكثر من الدعاء في هذا الجانب، فإنَّ الله –سبحانه وتعالى– لا يُخيِّب من دعاه.

[السؤال]: وهذا يسأل عن فضل العمرة في رمضان.

[الجواب]: والله العمرة في رمضان جاء فيها الأحاديث عن النبي ﷺ فمن ذلك قوله -عليه الصلاة والسلام-: (**العُمْرَةَ فِي رَمَضَانَ تَعْدِلُ حَجَّةً**)[1]، وفي رواية أو قال: (**حَجَّةً مَعِي**)[2]، فالعمرة في رمضان لها مكانها، والنبي ﷺ قد أخبر بها في هذا الحديث الذي سمعتموه.

ولكن أيضًا لا ننسى أن نذكر هذه الأيام الأعمال الجارية في المسجد الحرام، وأنا والله ذهبت قبل خمسة أشهر، أو أربعة أشهر، ولم تزل في بدايتها، واعتمرت تقريبًا بعد نصف الليل، ووجدت مشقة بعد نصف الليل، وجدت مشقة من كثرة الزحام، وخصوصًا في المناطق التي فيها الهدم حول الكعبة المعُظَّمة، فأنت يا أخي إن كنت ولا بد فاعلًا، فاعتمر وارجع.

وعلى كل حال نحن لا نُزهِّدك في هذا، لكن العمرة مطلوبة، وأنت تعرف ماذا ينتظر الإنسان إذا رأى الضيق والحرج ربما يأتيه شيء من الجزع، ربما يأتيه شيء من التسخط، فيقع في شيء من الحرج في عمله الصالح، فأنت اعتمر فإن رأيت مكانًا يسع فالحمد لله، وإلا فلك أجر العمرة، وارجع، والمساجد -ولله الحمد- قائمة، ومسجد النبي ﷺ أيضا في المدينة مهيأ، اذهب إلى المسجد النبوي، مهيأ -ولله الحمد-، وأيضًا الاختلاط فيه بالنساء قليل، ليس كالمسجد الحرام فالنساء لهن أبوابهن، والرجال لهم أبوابهم، هؤلاء منفصلون عن هؤلاء، وتستطيع تحصل على الأجر هذا، وتحصل على الأجر هذا، ونسأل الله -جل وعلا- أن يوفقنا وإياكم جميعًا.

[السؤال]: وهذا يسأل عن حديث أسماء بنت أبي بكر -رضي الله عنها- في الصحيح أفطرنا على عهد النبي ﷺ في يوم غيم ثم غربت الشمس، (لا، ما هو غربت الشمس، ثم طلعت الشمس

---

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم (١٧٨٢)، ومسلم في "صحيحه" برقم (١٢٥٦).

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم (١٨٦٣).

بس انقلب عليك المتن، ثم طلعت الشمس ولم نؤمر بالقضاء)، هل يُحمل الفطر هنا على غلبة الظن في الغروب، كذلك كيف يجمع مع قاعدة الأصل بقاء النهار، وما الفرق بين غلبة الظن والشك.

[الجواب]: ما شاء الله، هذا عدة سؤالات، ومسائل أصولية عنده -جزاه الله خيرًا-.

أقول: حديث أسماء في الصحيح[1]: قالت: «أفطرنا على عهد النبي ﷺ يوم غيم، ثم طلعت الشمس» قيل لهشام[2]: فأمروا بالقضاء؟ قال: «لا بد من قضاء»، هذا اجتهاد منه -رحمه الله ورضي عنه-، وإلا الصحيح أنه لم يثبت عن النبي ﷺ أنه أمرهم بالقضاء.

وهذا الحديث دليل على أنَّ من أفطر في رمضان بانيًا إفطاره على غلبة ظنه أنَّ الشمس قد غربت، وجاء من العلامات ما يدل على ذلك، ثم طلعت الشمس يمسك بقية يومه وصومه صحيح ولا شيء عليه، فهو مثل أو بمثابة من أكل أو شرب ناسيًا، والنبي -عليه الصلاة والسلام- يقول: **(إذا أَقْبَلَ اللَّيْلُ مِن هَا هُنا)** وأشار بيده نحو المشرق، **(وَأَدْبَرَ النهارُ مِن هَا هُنا، فقدْ أَفْطرَ الصَّائِمُ)**[3]، وفي صحيح مسلم[4]، جاء من حديث عمر بن الخطاب-رضي الله عنه- أن ﷺ قال: **(إذا أَقْبَلَ اللَّيْلُ وَأَدْبَرَ النهارُ وَغَابَتِ الشَّمْسُ؛ فقدْ أَفْطرَ الصَّائِمُ)**.

فلابد من ذكر هذه الأمور قالوا قوله: **(وأَقْبَلَ مِن هَاهُنَا وَذَهَبَ مِن هَاهُنَا)**، وضاف على ذلك قوله: **(وَغَابَتِ الشَّمْسُ)**، لِـمَا؟ أضاف غيبوبة الشمس للدلالة على التيقن من الغروب.

فإنَّ المرء قد يكون في أرض منخفضة أو تحت جبل أو شجر أو يأتيه ما يحول بينه وبين التأكد من الرؤية فينبغي له ذلك، لكن إن حصل شيء من هذا فلا ضير عليه بإذن الله -تبارك وتعالى-،

---

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم (١٩٥٩).

(٢) قال الشيخ هنا: (وهو أحد رواته، رجال إسناده).

(٣) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم (١٩٥٤).

(٤) برقم (١١٠٠).

والصوم صحيح، والأصل بقاء النهار هم خرجوا عن هذا الأصل بغلبة الظن، والخروج بغلبة الظن جائزة، لكن لَمَّا تبين لهم أنّم هنا أخطأوا فإنّهم حينئذ يعذرون ولا شيء عليهم.

أما الشك فلا يجوز فالشك ليس بغلبة الظن، فالظن الغالب هنا أن النهار قد ولَّى والليل قد دخل، أما الشك أن يستوي الأمران الطرفان؛ دخل الليل لم يدخل الليل، خرج النهار لم يخرج النهار فهذا هو الشك، فحينئذٍ لا يجوز، أما البناء على غلبة الظن فإنه يجوز بناء الأحكام على غلبة الظن، بل أكثرها مبنيٌّ على غلبة الظن، وأيضًا حتى القَسَم إذا أقسمت على غلبة الظن فإنك لا تحنث ولا تكون فاجرًا في يمينك، ولعلنا بهذا نكتفي، والله أعلم.

وصلَّى الله وسلَّم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وأصحابه وأتباعه بإحسان» انتهى[1].

إِعْدَادُ

أَبِي قُصَيٍّ المَدَنِيِّ

-عَفَا اللهُ عَنْهُ وعَنْ والِدَيْهِ ومَشَايِخِه وَالْمُسْلِمِيْنَ أَجْمَعِيْنَ-

فِي الخَامِسِ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ عَامِ وَاحِدٍ وأَرْبَعِينَ وأَرْبَعِمِئةٍ وأَلْفٍ مِنَ الهِجْرَةِ

(١) تنبيه: التفريغ ليس من عملي، وإنما لي التنسيق والإعداد والتخريج، وقد قمت في أغلب الأحاديث بذكر الحديث كما هو في الأصول، وتغيير بعض الكلمات من كلام الشيخ -حفظه الله- إلى الفصحى، ونحو ذلك، فما كان من صواب فمن الله وحده، ومن كان من خطأٍ فمن نفسي والشيطان، وأستغفر الله العظيم.